

الفصل الثاني

مخارج الحروف وصفاتها

obeikandi.com

الفصل الثامن مخارج الحروف وصفاتها

أولاً المخرج لغة واصطلاحاً:

اخرج في اللغة: موضع خروج الحرف وظهوره وتمييزه عن غيره بواسطة الصوت^(١) ومعنى هذا أنه اسم لمكان خروج الحرف كمدخل اسم فكان دخول الشيء

وفي الاصطلاح هو الموضع المولد للحرف، وفي علم الأصوات: نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاءً محكماً مع بعض الأصوات، وغير محكم مع أصوات أخرى^(٢) وقال الخليل: «هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج»^(٣) وقال ابن يعيش: المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده»^(٤).

لكن ما المخرج المحقق والمخرج المقدر؟ وكيف نتعرف عليهما؟

- المخرج المحقق: يكون له طرفان يصطدم كلاهما بالآخر معتمداً عليهما الصوت، فإن خرج منه الحرف بتصادم الطرفين سمي بالمخرج المحقق، وسمى الحرف بالحرف المحقق، لأننا نستطيع معرفة موضع ولادة الحرف

(١) المعجم الوسيط، مادة (خرج): ج ١ ص ٢٣٣

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) نسمى محارج ومدارج وأحيازاً ومقاطع ومواضع، انظر معجم العين ج ١ ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) شرح المفصل ج ١٠ ص ١٢٤.

بدقة لوجود حيز له في عضو النطق، يبدأ صوته منه، وينتهي فيه، وجميع المخارج محققة ما عدا مخارج الجوف.

المخرج المقدر: يكون له طرفان متباعدان، وسمى الحرف بالحرف المقدر لأننا لا نستطيع معرفة ولادة الحرف إلا تقديراً أو إجمالاً، فليس للحرف حيز يبدأ صوته منه وينتهي فيه، بل ينتهي صوته بانتهاء الهواء لا بانتهاء المخرج، لكونه مخرجاً قابلاً لامتداد الصوت فيه. ويخرج من الجوف ثلاثة أصوات مقدره هي الألف والواو والياء.

والذي بدا لي أن تحديد مخارج الحروف يقع في صلب الدراسة الصوتية واللغوية، لأن المخرج هو معتمد القارئ أعنى الإنسان الناطق لإخراج صوت الحرف، فحل خلل يصيب فصاحة الحرف العربى سببه عدم ضبط مخرجه، وحيث وجد المخرج وجد الحرف، وحيث لا مخرج فلا حرف.

لكن، كيف يحدد مخرج الحرف؟

يمكننا تحديد مخرجه عن طريق نطقه ساكناً بعد همزة وصل متحركة بحركة من الحركات الثلاث، لأنه لا يجوز الابتداء بحرف ساكن فلا بد من تحريكه، ولا يمكن النطق بحرف واحد، يقول العلامة ابن جنى: «ولمعرفة مخرج الحرف والتحقق منه يكون بابتداء همزة الوصل جائياً بالحرف ساكناً ملحوظاً به صفات ذلك الحرف»^(١) أو يؤتى به مشدداً بعد همزة وصل^(٢) لأن النطق بحرف واحد متعذر وغير ممكن، إذ لا بد من الابتداء بمتحرك،

(١) سر صناعة الإعراب - ج ١ ص ٧.

(٢) النشر في القراءات العشر - ج ١ ص ١٩٩.

والوقوف على ساكن، وما يمكن ذلك في أقل من حرفين، الأول منهما متحرك والثاني ساكن (١).

فأنت إذا أردت نطق الباء - مثلاً - سَكَنْتَهُ ووضعت قبله همزة وصل مفتوحة فتنتطقه هكذا «أَب».

وبإمعان النظر في التطبيق العملي التجريبي لصوت الباء تجد أنه قد احتبس في مخرج الباء مع تصادم الشفة السفلى بباطن الشفة العليا، ولا يكتمل ولادة الحرف إلا بالقلقلة فتنتطقه هكذا «أَب» حيث تخرج الباء من عضو النطق «الشفتين» وهو مخرجها العام، يقول ابن سينا: «وأما إذا كان حبس الهواء بآخر الشفة مع الشفة مع حبس تام والإطلاق في تلك الجهة بعينها حدث الباء» (٢).

أما الحيز الذي يعتمد عليه الصوت فهو باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا، وهو مخرجها الخاص.

أما الكيفية التي يتكيف بها الصوت فهي كيفية الصوت الشديد لانحباس الصوت بين طرفي المخرج.

والباء صوت مجهور لعدم خروج النفس مع الصوت، وهو من حروف القلقلة لتحركه من مكانه. وبمشيئة الله تعالى سنتعرف على جميع مخارج الحروف وصفاتها فيما بعد وفق المنهج التجريبي الذي نسير عليه في هذا الجزء من البحث.

(٣) ابن سنان، سر الفصاحة: ص ٢٣.

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٥.

أما مخرج الحرف المقدر، أعنى مخرج حروف الجوف «الألف والواو والياء» فيمكننا التعرف عليه عن طريق الإتيان قبلها بحرف محقق متحرك بحركة مجانسة، يصطدم به القارئ أولاً، ثم يتباعد عنه إلى الجوف، فإذا أردنا التعرف على الألف نأتى بحرف محقق متحرك بالفتح نصطدم في مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى فتح نحو «قال - باع - سماء - بناء» يقول ابن سينا: «وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم»^(١)

وإذا أردنا التعرف على مخرج الواو نأتى بحرف محقق متحرك بالضم نصطدم في مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى ضم نحو «يقول - عهود - عقود - كنوز» يقول ابن سينا: «والواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى فوق»^(٢)

وإذا أردنا التعرف على مخرج الياء نأتى بحرف محقق متحرك بالكسرة نصطدم في مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى كسر نحو «قيل - جميع - يبيع» يقول ابن سينا: «الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل»^(٣).

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها .

لكن ما الهدف من معرفة مخارج الحروف؟

معرفة مخارج الحروف ليس الهدف منه معرفة موضع خروج الحرف فقط، وإنما التعرف على صفاته أيضاً من خلال معرفة مخرجه، كما يمكننا معرفة طريقة جلب همزة متحركة قبل الحرف الساكن.

والذي بدا لي أن القدماء كان لهم قصب السبق واليد الطولى فى تحديد مخارج الحروف وصفاتها، فهم يتميزون بالحس اللغوى المرفه، كما أنهم اعتمدوا على دقة الملاحظة والتجريب أثناء نطقهم الحرف، ولم يختلف عنهم المحدثون والمعاصرون - رغم وجود أجهزتهم الصوتية الحديثة التى اعتمدوا عليها أثناء تسجيلهم وتحديد مخارج الحروف وصفاتها إلا فى أشياء يسيرة جداً.

وعلى الرغم من ذلك نلاحظ أنهم يختلفون فى عدد مخارج الحروف، ذهب الخليل إلى أنها سبعة عشر مخرجاً^(١) وتبعه فى هذا علماء القراءات، حيث جعلوا الحروف المد مخرج الجوف، وهو المخرج السابع عشر عندهم، وإنما نسبت هذه الحروف «الألف والواو والياء» إلى الجوف، لأنه آخر انقطاع مخرجهن^(٢) فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، من هؤلاء العلماء الذين نصوا على مخرج الجوف مكى بن أبى طالب «ت ٤٣٧ هـ» وأبو القاسم الهذلى «ت ٤٦٥ هـ» وأبو الحسن شريح «ت ٥٣٩ هـ» وابن الجزرى «ت ٨٣٣ هـ»^(٣).

(١) العين: ج ١ ص ٥٨ وما بعدها.

(٢) المصلو السابق: ج ١ ص ٦٤، وابن الجزرى، النشر فى القراءات العشر: ج ١ ص ١٩٩،

وأبو حيان، ارتشاف الضرب: ج ١ ص ٧.

(٣) النشر فى القراءات العشر: ج ١ ص ١٩٩.

أما إمام العربية سيبويه فجعلها ستة عشر مُخرِجاً بإسقاطه مخرج الجوف^(١) وتبعه في هذا جمهرة من اللغويين والنحويين منهم ابن جنى^(٢) والمبرد^(٣) وابن السراج^(٤) وابن يعيش^(٥) وأبو حيان^(٦) وبرجشتراسر^(٧). ومن المحدثين الدكتور عبد الغفار هلال^(٨)

وذهب البعض الآخر إلى أنها أربعة عشر مُخرِجاً، من هؤلاء قطرب «ت ٢٠٦هـ» والفراء «ت ٢٠٧هـ» والجرمي «ت ٢٢٥هـ» وابن دريد «ت ٣١١هـ» وابن كيسان «ت ٣٢٠هـ» وغيرهم^(٩) وهؤلاء هم الذين جعلوا مُخرِج اللام والنون والراء مخرِجاً واحداً.

والذي أرجحه مذهب إمام العربية سيبويه لأنه هو المشهور وهو المتعارف عليه لدى أكثر العلماء والباحثين سواء أكانوا قدامى أم محدثين، يقول: «وحروف العربية ستة عشر مُخرِجاً:

- فأقصاها مُخرِجاً: الهمزة والهاء والألف.
ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.
وأدناها مخرِجاً من الفم: الغين والحاء.

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٣ وما بعدها.
(٢) سر صناعة الإعراب: ج ١ ص ٥٢ وما بعدها.
(٣) المقتضب: ج ١ ص ١٩٢.
(٤) الأصول في النحو: ج ٣ ص ٤٠٠.
(٥) شرح المفصل: ج ١٠ ص ١٢٦.
(٦) ارتشاف الضرب: ج ١ ص ٤.
(٧) التطور النحوي: ص ١٢ وما بعدها.
(٨) أصوات اللغة العربية: ص ١٢٣.
(٩) ابن الجزرى، التمهيد في علم التجويد: ص ١٠٥.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف . ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف .

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والباء .

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد .

ومن حافة اللسان من أذناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الشنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء .

ومما بين طرف اللسان وأصول الشنايا مخرج الطاء والذال والتاء .

ومما بين طرف اللسان وفويق الشنايا مخرج الظاء والذال والثاء .

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الشنايا العليا مخرج الفاء .

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة^(١)

وها هي بعض آراء العلماء في كلام سيبويه :

١ - زعم الأخفش أن الهمزة أول ، وأن الألف والهاء في رتبة واحدة لا قبلها ولا بعدها^(٢) وزعم أبو العباس المهدوي وغيره أن الهمزة أول ثم الألف ثم الهاء^(٣) والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى

(١) الكتاب : ج ٤ ، ص ٤٣٣ وما بعدها .

(٢) سر صناعة الإعراب : ج ١ ص ٥٢ .

(٣) ارتشاف الضرب : ج ١ ص ٥ وما بعدها ، والنشر : ج ١ ص ١٩٩ .

حركات الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفى^(١)

بيد أن الدكتور تمام حسان يعتبرها نتيجة لهيئة حنجرة الرنين الفموية لا إقفال ولا تضيق في مخرج بعينه شأنها في ذلك شأن العلل والحركات^(٢).

٢ - نصر مكي على تقديم الخاء على الغين^(٣) بيد أن ابن خروف «ت ٦١٠ هـ» ذهب إلى أن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد^(٤) بيد أن الدراسات الحديثة دلت على صحة كلام سيبويه وأثبتته، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «فلكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين، يحلان فيه معاً دون ترتيب لأحدهما على الآخر^(٥) وفي موضع آخر يقول: «ولسنا نجد في كلام سيبويه ما يؤخذ عليه بصدد أصوات الحلق سوى إقحامه فيها ما سماه بالألف، ويبدو أن بعض المتأخرين قد رجعوا عن هذا، إذ لا نجد إشارة للألف بين أصوات الحلق في كتاب النشر^(٦)».

٣ - زعم شريح أن مخرج القاف من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء منه^(٧).

(١) سر صناعة الإعراب: ج ١ ص ٥٢ .

(٢) مجلة الأزهر، مقال بعنوان «مصطلحات سيبويه في أصوات العربية»: ص ١٠٨٧ .

(٣) ارتشاف الضرب: ج ١ ص ٥ .

(٤) المصدر السابق: ج ١ ص ٦ .

(٥) الأصوات اللغوية: ص ١١٤ .

(٦) المصدر السابق: ص ١١٥، وانظر في النشر: ج ١ ص ١٩٩ .

(٧) ارتشاف الضرب: ج ١ ص ٦ .

- ٤ - زعم الخليل بن أحمد أن الباء هوائية لا مخرج لها كالألف والواو^(١) .
 ٥ - جعل الخليل الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين^(٢) ولكن عبقرى العربية ابن جنى نص على أن مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر^(٣) .

والذى أراه أن الضاد أصبحت الآن تنطق من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، أى يمكن تصنيفها مع التاء والذال والطاء، ويمكننا تفسير هذا فى ضوء قانون التطور الصوتى الذى يحدث للأصوات، والذى بدوره يزدى إلى سهولة النطق وتيسيره.

وخذ الدليل للمخارج من الجزرية :

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةٌ عَشْرٌ
 فَأَلْفُ الْجَوْفِ وَأَخْتَاهَا وَهِيَ
 ثُمَّ لَأَقْصَى الْخَلْقِ هَمَزُ هَاءُ
 أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاوُهَا وَالْقَافُ
 أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشَّيْنِ يَا
 الْأَضْرَاسُ مِنْ أَيْسَرٍ أَوْ يَمْنَاهَا
 وَالْتُونُ مِنْ طَرْفِهِ تَحْتَ اجْعَلُوا
 عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنْ اخْتَبِرُ
 حُرُوفٌ مَدٌّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهَى
 ثُمَّ لَوْسَطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ
 أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقَ ثُمَّ الْكَافُ
 وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا
 وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمَنْتَهَاهَا
 وَالرَّاءُ يُدَانِيهِ لِيُظْهَرَ أَدْخَلُ

(١) العين: ج ١ ص ٥٧ .

(٢) العين: ج ١ ص ٥٢ .

(٣) سر صناعة الإعراب: ج ١ ص ٥٢ .

وَالطَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ
 مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَائِيَا السُّفْلَى
 عُلْيَا الثَّنَائِيَا وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِنٌ
 مِنَ طَرَفَيْهِمَا وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَةِ
 وَالطَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا لِلْعُلْيَا
 فَالْقَامِعُ أَطْرَافِ الثَّنَائِيَا الْمُشْرِفَةِ
 وَلِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمٌ
 وَغَنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ

وهناك تصنيف آخر لمخارج الحروف ذكره الخليل في كتابه العين، ثم استمدّه منه القدماء والقراء الذين جاءوا من بعده، فقد لاحظوا أن مخارج الحروف السبعة عشر تجمعها عشرة ألقاب، نذكرها على الوجه الآتي^(١):

١- الأحرف الجوفية أو الهوائية:

ويراد بالجوف الذي ينسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها، وهي أحرف المد الثلاثة التي تسمى أيضاً أحرف اللين وهي: الألف وتكون ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وسميت هذه الأحرف بالهوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم، وسميت بالجوفية لجيئها من الجوف.

٢- الأحرف الحلقية:

وهي ستة أحرف: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وهي ما تعرف بحروف الحلق الستة لخروجها منه.

٣- الأحرف اللهوية:

وهما حرفان: القاف والكاف وسُميا بذلك نسبة إلى اللهاء، وهي لجة مشتبكة بآخر اللسان بين الفم والحلق، يختلف مخرج كل منهما عن

(١) ينظر في أصوات اللغة العربية للدكتور هلال من ص ١٢٧ : ١٢٩ وأصوات اللغة العربية للدكتور جيل: من ص ١٥٢ : ص ١٥٥ .

الآخر، فالقاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاة. والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف، وقال الخليل: إن مبدأهما من اللهاة مما يلي الحلق^(١) لكن القاف لهوية والكاف طبقية في نظر بعض المحدثين^(٢).

٤- الأحرف الشجرية:

وهي ثلاثة: الجيم والشين والياء الصحيحة غير المدية، والضاد وهي من مخرج واحد، وسميت تلك الحروف بذلك لأنها من شجر الفم^(٣)، أي مفرج الفم، وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.

٥- الأحرف الأسلية:

وهي الصاد والسين والزاي، ومخارجها متقاربة ما بين رأس اللسان، وبين صفحتي الشيتين العليين، والصاد أدخلها في هذا المخرج، والسين أوسطها، والزاي أبعداها. وسميت أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي طرفه^(٤).

٦- الأحرف النطعية:

وهي الطاء والتاء والذال، وهي متقاربة المخرج، وسميت بذلك لأن مبدأها من ظهر الغار الأعلى وهو موضع اللسان من الحنك^(٥)، وتخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.

٧- الأحرف اللثوية:

وهي الطاء والذال والثاء، وهي متقاربة المخرج، ما بين ظهر اللسان مما

(١) أبو حيان، ارتشاف الضرب: ج ١ ص ٦، والعين: ج ١ ص ٥٨.

(٢) د. أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٨٤، ود. كمال بشر، علم اللغة العام: ص ١٠٨ وما بعدها.

(٣) العين: ج ١ ص ٥٧، والمعجم الوسيط مادة شجر: ج ١ ص ٤٩٢.

(٤) المعجم الوسيط: مادة أسل: ج ١ ص ١٨.

(٥) المصدر السابق: مادة نطع: ج ٢ ص ٩٦٨.

يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين، وسميت بذلك لأن مبدأها من اللثة، أو خروجها من قرب اللثة.

٨- الأحرف الذئقية:

وهي الراء واللام والنون المظهرة وأدرج القدماء الضاد معها وأطلقوا عليها حروف طرف اللسان وما يقابلها من الحنك الأعلى^(١)، واللام أوسع الحروف مخرجاً، إذ يمكن إخراجها من كلتا حافتي اللسان وما يحاذيهما من الضاحكين والنابين والرباعيتين. والنون المظهرة تخرج من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا، أما اللام فهي أدخل في ظهر اللسان ما بين رأسه وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين، «وسميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه»^(٢).

٩- الأحرف الشفهية أو الشفوية:

وهي الفاء والباء والميم والواو الصحيحة غير المدية، وسميت بذلك لأن مبدأها من الشفة غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى، ورأس الثنيتين والثلاث الباقية مما بين الشفتين معاً.

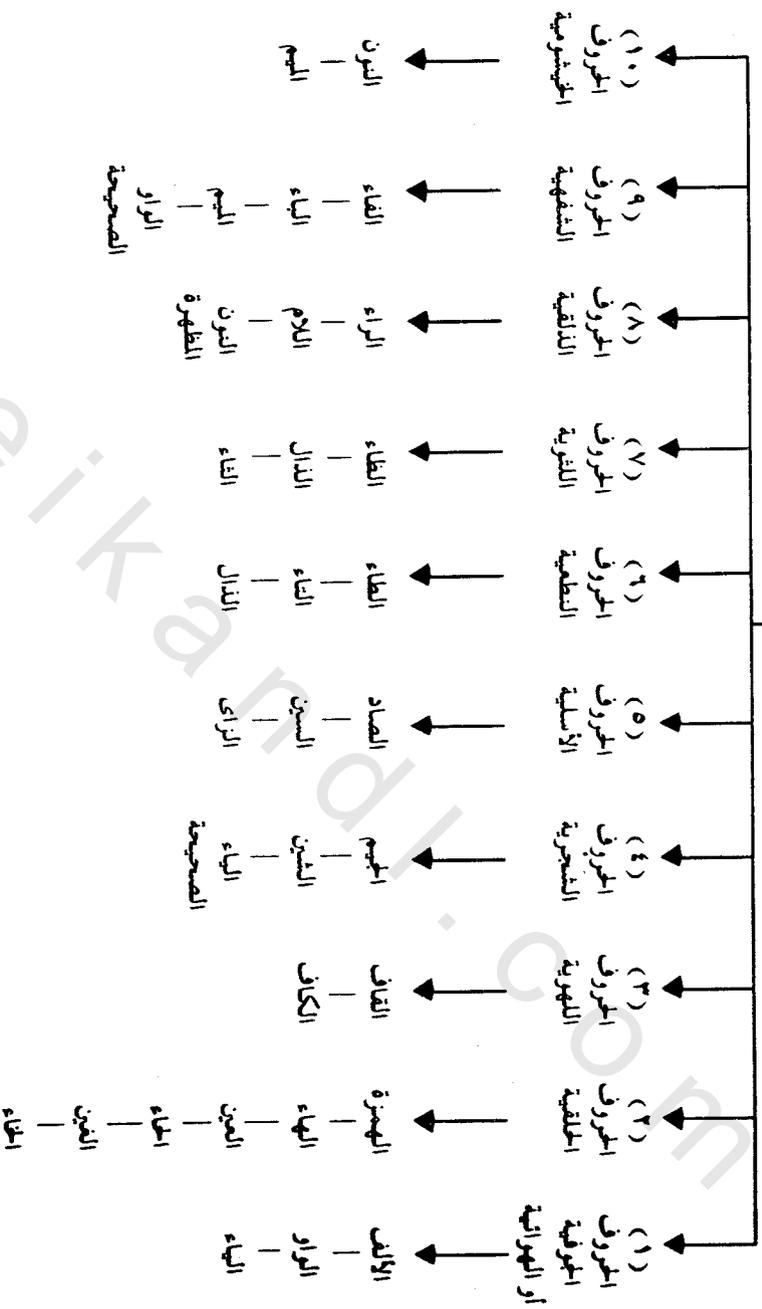
١٠- الأحرف الخيشومية:

وهي النون الساكنة أو التنوين والميم الساكنة حين إدغامها بغنة، أو إخفائها، والنون والميم المشددتان، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول في هذه الحالة عند مخرجها الأصلي على القول الصحيح، فهما حينئذ من الأنف والخياشيم على حين كانت لهما في غير ذلك مخرج أخرى.

وفيما يلي رسم توضيحي يبين لنا ألقاب الحروف:

(١) الكتاب: ج ٤، ص ٤٣٢ وارتشاف الضرب: ج ١، ص ٦ وما بعدها.

(٢) المعجم الوسيط: مادة ذلق: ج ٢، ص ٣٢٦.



صفات الحروف

أولاً الصفة لغة واصطلاحاً:

الصفة لغة: الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته وبعته: كالسواد والبياض، والعلم والجهل^(١).

ومعنى هذا أن الصفة تكون حسية تدرك بإحدى الحواس كالسواد والبياض، أو معنوية لا يمكن رؤيتها ولا لمسها كالعلم والجهل.

أما الصفة اصطلاحاً فهي كيفية تكيف بها صوت الحرف عند النطق به، فتميزه عن غيره، وهذه الكيفية قد تكون لازمة للحرف فلا يمكن النطق به بدونها، أو تكون عارضة له فتزول عنه بزوال السبب.

لكن، ما فائدة دراسة هذه الصفات؟

لدراسة صفات الحروف فوائد متعددة أهمها:

١ - تمييز المخرج الجيد من المخرج الرديء، لأن الحرف إذا اختلف مخرجه اختلف صفته وأصبح رديئاً من ذلك - مثلاً - القاف، لو أخرجناها من مخرج الكاف لأضحت مهموسة، والقاف كما هو معروف مجهورة.

٢ - ضبط مخارج الحروف التي دُمجت في مخرج واحد للتقارب الشديد الذي يصعب معه الفصل، والتي نسميها بالحروف المتجانسة كالسين والزاي: حرفان متجانسان، كل منهما له صفة تميزه عن الآخر فالسين مهموسة والزاي مجهورة.

٣ - ضبط مخارج الحروف المتقاربة في المخرج وفي الصفات، من ذلك

(١) المعجم الوسيط: ج ٢ ص ١٠٧٩.

-مثلاً- حروف رأس طرف اللسان، كالزاي والسين والشاء، يمكننا من خلال ضبط مخرجها تمييز صفة الصفير.

هذا ويمكننا تقسيم صفات الحروف إلى قسمين :

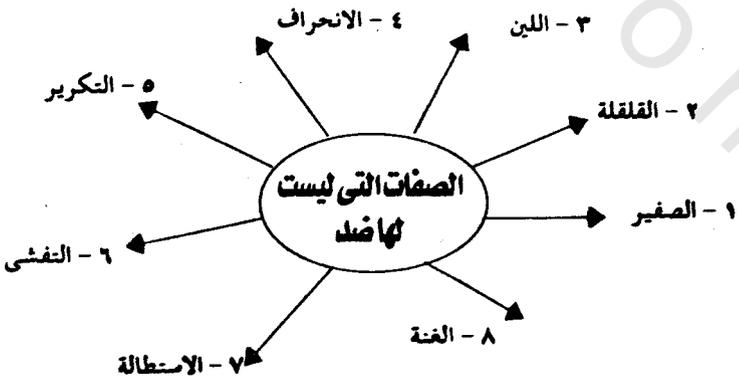
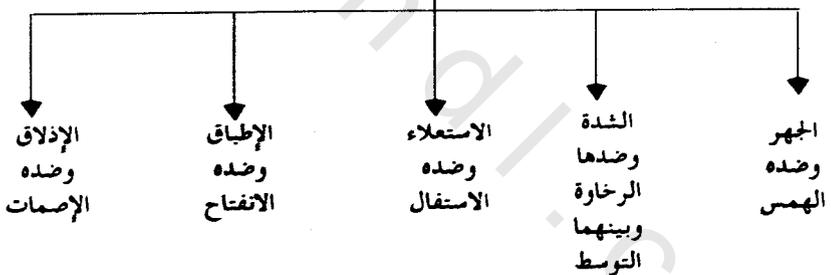
* صفات لازمة «أصلية» وهي الصفات المكونة لصوت الحرف، والتي لا يمكن إخراجها وولادته إلا بها.

* صفات غير لازمة «عارضه» وهي التي تنشأ من تجاور الحرف مع غيره من الحروف، بحيث إذا انفصل الحرف عن مجاوره زالت عنه تلك الصفة.

أولاً الصفات اللازمة، الأصلية،:

وتنقسم إلى قسمين : قسم له ضد، وآخر ليس له ضد.

الصفات التي لها ضد



وفيما يلي البيان والتفصيل :

أولاً الصفات التي لها ضد :

١ - الجهر وضده الهمس :

الجهر لغة : الإعلان والوضوح ، وفي المعجم الوسيط : أجهر : أعلن وأجهر بالكلام ونحوه : جهر به^(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ﴾^(٢) أى : لا تعلنها وترفع صوتك بها .

أما الجهر اصطلاحاً فهو اهتزاز الحبلين الصوتيين بقوة كافية ، لأن يتكيف الهواء المار من بينهما بالصوت ، وهما فى هذا الوضع يهتزان اهتزازاً منظماً - كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس - ويحدثان صوتاً موسيقياً تختلف درجته حسب عدد هذه الهمزات أو الذبذبات فى الثانية^(٣) .

وجميع الحروف مجهورة ما عدا الحروف التى جمعها ابن الجزرى فى قوله « فحثه شخص سكت » فهى مهموسة ، وللجهر ما بقى من الحروف ، وقد حددها أيضاً علماؤنا القدامى ونبهوا عليها . يقول سيبويه : « فأما المجهورة فالهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والذال ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والباء ، والميم ، والواو ، فذلك تسعة عشر حرفاً »^(٤) .

(١) المعجم الوسيط ، مادة « جهر » : ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(٣) د . إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية : ص ٢٠ .

(٤) سيبويه ، الكتاب : ج ٤ ص ٤٣٤ .

وحروف الجهر مجهورة لقوتها من قوة الاعتماد عليها في مخارجها، فتخرج بصوت قوى مجهور يمتنع النفس من الجرى معها، يقول إمام العربية: «فالمجهورة: حروف أشبَع الاعتماد في موضعه، ومنَع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه، ويجرى الصوت حال المجهورة في الحلق والهم»^(١) ولعله يقصد بالجهر رفع الصوت، وذكر منع النفس كأثر مؤقت للاعتماد الذي هو الضغط الذي يولد زمير الصوت.

وجهر بعض الحروف أقوى من البعض الآخر على قدر ما في الحروف من صفات قوة بجانب صفة الجهر. فالطاء أقوى من الذال، وإن اشتركا في صفة الجهر، والسبب تميز الطاء عن الذال بالاستعلاء والإطباق والشدة. وقس على ذلك بقية الحروف المجهورة.

ولاختبار جهر الصوت يمكن أن تجرى إحدى التجارب الآتية: (٢)

١ - التجربة الأولى : نضع الأصبع فوق تفاحة آدم ثم نطق بصوت من الأصوات وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتى هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الزمر الذي يسمى السكون مثل «ب» ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات، لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة، فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك.

(١) المصدر السابق : الصفحة نفسها.

(٢) انظر هذه التجارب في الأصوات اللغوية للدكتور أنيس، ص ٢٠، وأصوات اللغة العربية للدكتور هلال : ص ١٣٦ وما بعدها وعقري اللغويين : ج ٢، ص ٥٨٧ .

٢ - التجربة الثانية: نضع أصابعنا في آذاننا، ثم ننطق بنفس الصوت، وهو - وحده مستقلاً عن غيره، نحس برنة الصوت في رؤوسنا.

٣ - التجربة الثالثة: يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار، فيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو صدى ذبذبة الوترين الصوتيين.

صفة الهمس:

الهمس لغة: كل خفى من كلام ونحوه... والمهموس من الكلام: غير الظاهر، ومن الحروف: غير المجهور، وهو ما يضعف الاعتماد على موضع مخرجه عند النطق به، وعلامته: أن يبقى النفس جرياً عند النطق به^(١) والهمس: الخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٢) أى صوتاً خفياً ضعيفاً.

أما الصوت المهموس اصطلاحاً فهو الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، وليس معنى هذا أن ليست للنفس معه ذبذبات مطلقاً، وإلا لم تدركه الأذن، ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه، رغم أن الهواء فى أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجى إلى حاسة السمع فيدركها المرء من أجل هذا^(٣).

(١) المعجم الوسيط، مادة همس: ج ٢ ص ١٠٣٥.

(٢) سورة طه، آية: ١٠٨.

(٣) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٢٥ وما بعدها.

وجمع ابن الجزري الحروف المهموسة في قوله «فحثه شخص سكت»، ومن قبله حددها لنا إمام العربية سيبويه قائلاً: «وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والحاء، والكاف، والشين، والنسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف»^(١).

وهمس بعض الحروف أقوى من بعض على قدر ما في الحرف من صفات ضعف بجانب صفة الهمس. فأقوى الحروف همساً أضعفها صفة، فأقوى الهمس «الهاء - الفاء - الحاء - الثاء» لأن جميع صفاتها ضعيفة، وأقل الحروف همساً الصاد لاستعلائها وإطباقها وضميرها.

والحرف المهموس هواؤه كثير لا يتكيف كله بالصوت، قال إمام العربية سيبويه: «وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت»^(٢).

لكن، كيف نفرق بين الحرف المجهور والحرف المهموس؟

يمكن التفريق بينهما عن طريق نفس الحرف، إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً، وإن بقي بعضه بلا صوت كان الحرف مهموساً.

فإذا نطقنا الذال الساكنة - مثلاً - قلنا (أذ) ومددناها، وجدنا نفساً

(١) سيبويه، الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٤.

(٢) سيبويه، الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٤.

كله متكيفاً بصوت ومن ثم فهي حرف مجهور. وإذا نطقنا الصاد الساكنة فقلنا (أص) ومددناها وجدنا بعض نَفْسِهَا صوتاً وبعضه مهموساً ومن ثم فهي حرف مهموس.

٢- الشدة ووضدها الرخاوة وبينهما التوسط:

الشدة لغة: القوة، شد الشيء: قوى ومَتَنَ^(١) واصطلاحاً: إعاقه الهواء الموظف لنطق الحرف إعاقه تامة بسبب لزوم الخرج والحليلين الصوتيين لوضع الانغلاق التام. وعرفه أستاذنا الدكتور هلال بأنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجرى فيه، فلو قلت: الحق والشط، ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً^(٢)

والحرف الشديد: صوت عند مخرجه ينحبس الهواء انحباساً تاماً لحظة قصيرة، بعدها يندفع الهواء فجأة، فيحدث دويًا، كالدال والتاء مثلاً^(٣) يقول الدكتور أنيس «فحين تلتقي الشفتان التقاءً محكمًا فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرتتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً، هو ما نرزم إليه في الكتابة بحرف الباء. فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلاح القدماء على تسميته بالصوت الشديد، وما يسميه المحدثون انفجارياً Plosive»^(٤)

ومعنى هذا أن الحروف الشديدة سميت بذلك لاحتباس الصوت عن الجريان عند النطق بها لقوة الاعتماد عليها في مخرجها، فإذا قلت «أج - أت» يتصادم طرفا المخرج لدرجة تحبس الصوت فلا يجرى معهما، وهكذا مع

(١) المعجم الوسيط، مادة «شدد»: ج ١ ص ٤٩٤ .

(٢) عبقرى اللغويين : ج ٢، ص ٥٨١ .

(٣) المصدر السابق، المادة نفسها.

(٤) د- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٢٣ .

أخواتها، يقول إمام العربية سيبويه: «ومن الحروف الشديد، وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى معه. وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء، وذلك أنك لو قلت أَلْحَجَّ ثم مددت صوتك لم يجز ذلك^(١) وقد جمعها ابن الجزرى فى قوله: «أجد قطن بكت». وأقوى الحروف الشديدة حرف الطاء لاجتماع صفات القوة فيه، ما لم يجتمع مع غيره، وأضعف الحروف الشديدة الكاف والتاء بسبب همسهما. فلولا الهمس فى الكاف والتاء لكانت كل الحروف الشديد مجهورة.

والحرف الشديد سواء أكان مجهوراً أو مهموساً يحتبس الصوت والنفس فيه أولاً، ولا يعرف جهره من همسه إلا بما يأتى عقب الاحتباس، فإن كان زمن الاحتباس قصيراً وخرج الصوت بالقلقلة كان الحرف شديداً مجهوراً، وإن كان زمن الاحتباس طويلاً وخرج الهمس بعده كان الحرف شديداً مهموساً، بمعنى إن خرج صوت عقب الاحتباس فهو مجهور، وإن خرج همس فهو مهموس، وخروج الهمس دليل على ضعف الشدة، وهذا ما يحدث مع «الكاف والتاء» والجهر والقلقلة دليلان على قوة الشدة، وهذا ما يحدث مع حروف القلقللة التى يجمعها قولنا «قطب جد» أما الهمزة فلا قلقللة فيها، وزمنها هو أن يحتبس الصوت فى مخرجها.

صفة التوسط:

التوسط لغة: الاعتدال، توسط فلان: أخذ الوسط بين الجيد والرئى وتوسط بينهم: وسط فيهم بالحق والعدل^(٢).

(١) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤.

(٢) المعجم الوسيط مادة «وسط»: ج٢ ص ١٠٧٣.

وأما التوسط في الاصطلاح فهو إعاقه الهواء الموظف لنطق الحرف بسبب انغلاق الخرج والحبليين الصوتيين، ثم زوال تلك الإعاقه بفتح الحبليين الصوتيين لوجود فتحة في المخرج ينفذ منها الصوت، أعنى بذلك أن مجرى النفس ينسد مع نطق الحرف، بيد أنه يجد سبيله للخروج.

وقد نبه على هذا الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً: «على أنه رغم التقاء العضوين مع بعض الأصوات قد يجد النفس له مسرباً يتسرب منه إلى الخارج، وحينئذ يمر الهواء دون أن يحدث أى نوع من الصفير أو الحفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء، ولعل هذا هو الذى دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أى التى ليست انفجارية ولا احتكاكية^(١).

وقد عدّ القدماء «العين» صوتاً متوسطاً أيضاً، يقول إمام العربية سيبويه: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء»^(٢) بيد أن قلة التجارب الحديثة التى أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح هذه الصفة لحرف العين، بل نتركها لتجارب المستقبل تبرهن عليها.

وأيا كان الأمر فإن الحروف المتوسطة قد جمعت فى قول ابن الجزرى: «وبين رخو والشديد لن عمر»... وقد سميت بذلك لأن صوتها يحتبس احتباساً ضئيلاً فى مكان، ثم يجرى جرياناً ضئيلاً فى مكان آخر، فتوسطت بين الشدة والرخوة.

(١) الأصوات اللغوية : ص ٢٤ .

(٢) سيبويه، الكتاب : ج ٤ ص ٤٣٥ .

والذى بدا لى أن النفس يجد سبيله للخروج إما بالانحراف إلى سبيل آخر ينصرف منه كما فى نطق «اللام والميم والنون» وإما بالانفلات من الخلل الذى يحدثه توالى المخرج وانفتاحه كما فى الرءاء، وإما بالانزلاق من بين الأثناء الرخوة للسد الذى فى طريقه كما فى نطق العين.

صفة الرخاوة:

الرخاوة تعنى جريان صوت الحرف جرياناً تاماً مع صدوره، ويكون ذلك إذا تولد الحرف بتضييق مجرى النفس عند مقطع الحرف، أى مخرجه، فهذا التضييق لا يحبس جريان النفس، وإنما يسمح بمروره مع احتكاكه بجدران المضيق. وعرفه أستاذنا الدكتور هلال بأنه هو الذى يجرى فيه الصوت وذلك كقولك المس والرش والشح ونحو ذلك فتتمد الصوت جارياً مع السين والشين والحاء وحروفه ما عدا الشديدة^(١)

وقد حدد لنا القدماء الحروف الرخوة، يقوم إمام العربية سيبويه: «ومنها الرخوة وهى: الهاء، والحاء، والغين، والحاء، والشين، والصاد، والضاد، والزى، والسين، والطاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطس وأنقض، وأشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت»^(٢)

والرخاوة صفة من صفات الضعف، وسميت حروفها بالرخوة لضعف الاعتماد عليها فى المخرج حتى جرى معها الصوت، فكان فيه رخاوة ولين. فإذا قلت: «أذ أو أش» تجد الصوت يجرى معهما وطبق ذلك على باقى حروف الرخاوة.

(١) عبقرى اللغويين: ج ٢، ص ٥٨١.

(٢) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٤ وما بعدها.

٣- الاستعلاء واصله الاستفال:

الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف استعلاءً بقوة الإرادة. يقول عبقرى العربية ابن جنى: «إن معنى الاستعلاء أن تتصعد الحروف في الحنك الأعلى، والحروف المستعلية سبعة يجمعها قولك: خص ضغط قط»^(١) ومنعها فيها مع استعلائها إطباق.. وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها^(٢). وصفة الاستعلاء صفة قوية وسميت حروفها بالمستعلية لاستعلاء الصوت معها.

أما الاستفال فهو ضد الاستعلاء بمعنى عدم استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة عند النطق بالحرف. أعنى بذلك انحطاط اللسان عند خروج الحرف إلى قاع الفم، أى لا يرتفع نحو الحنك. والحروف المستفلة هي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد أحرف الاستعلاء السبعة السابق ذكرها. وهى: الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الدال، الذال، الراء، الزاى، السين، الشين، العين، الفاء، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو، الياء. ويمكننا أن نطلق على الاستعلاء التفخيم، وعلى الاستفال الترفيق.

٤- الإطباق واصله الانفتاح:

الإطباق: أن ترفع فى النطق لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له الحروف المطبقة أربعة هي: «الصاد، والضاد، والطاء، والظاء» وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق^(٣)، وذكرها ابن الجزرى فى قوله: «وصاد ضاد طاء

(١) ابن جنى، سر الصناعة: ج ١، ص ٧١.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها، وعبقرى اللغويين: ج ٢، ص ٥٨٢.

(٣) سر الصناعة: ج ١، ص ٧٠، والمعجم الوسيط: مادة «طبق»: ج ٢، ص ٥٧٠.

ظاء مطبقة، وهذه الأحرف الأربعة - كما يقول إمام العربية سيبويه - إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف (١).

ومعنى هذا أن حروف الإطباق سميت بالمطبقة لانحصار صوتها بين صفحة اللسان وغار الحنك مما زاد تفخيمها مقارنة بغيرها من حروف الاستعلاء.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الحرف المطبق هو المستعلى استعلاء زائداً مقارنة بباقي أحرف الاستعلاء، فإذا ذكرت صفة الإطباق منفردة فلا بد أن تشمل الاستعلاء والإطباق، فكل حرف مطبق مستعلٍ، وسبب الإطباق هو مخرج الحرف المستعلى، وذلك لاستعلاء طرف اللسان مع استعلاء أقصاه بدرجات متفاوتة بحسب مخرج الحرف، وقد بين لنا إمام العربية أهمية الإطباق بحصر الصوت قائلاً: «ولولا الإطباق لصارت الظاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام» (٢). لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد إذا عدت الإطباق ألبتة (٣).

أما الانفتاح فهو ضد الإطباق، ويعنى تجافى اللسان والحنك كل منهما عن الآخر عند النطق بالحرف، بمعنى أن الصوت لا ينحصر بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى بسبب تجافى اللسان عن غار الحنك الأعلى بسبب مخرج الحرف، وحروف الانفتاح جميع حروف الهجاء ما عدا

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٦.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) ابن جنى، سر الصناعة: ج ١، ص ٧٠ وما بعدها.

الأربعة المطبقة التي تحدثنا عنها، بمعنى أن كل الحروف مفتحة ما عدا الحروف المطبقة الأربعة، يقول إمام العربية: «والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الخنك الأعلى»^(١)

والذي بدا لي أن الاستعلاء والإطباق من صفات القوة، فالحرف المستعلى المطبق المجهور الشديد أقوى استعلاءً، وبالتالي أقوى تفخيماً من الحرف المستعلى المطبق المجهور الرخو.

والحرف المجهور الرخو أقوى استعلاءً من المهموس الرخو، وبالتالي أقوى تفخيماً منه، ولذلك كانت الطاء أقوى تفخيماً من الضاد لشدة الطاء ورخاوة الضاد، والضاد أقوى تفخيماً من الطاء لقوة استعلاء الضاد بالاستطالة، والطاء أقوى تفخيماً من الصاد، لجهر الطاء وهمس الصاد.

٥- الإذلاق وضده الإصمات :

الذلاقة اصطلاحاً تعنى حدة اللسان وطلاقته، وذلق اللسان: كان حاداً طلقاً^(٢)

أما الذلاقة اصطلاحاً فالمراد بها الحروف التي تتصف بالخشفة والسلاسة في نطقها، أعني بذلك سرعة النطق بالحرف وخفته لخروجه من ذلق اللسان، وما يليه من الشفتين باعتبارهما نهاية جهاز النطق فذلق كل شيء طرفه، والحروف المنزقة جمعها ابن الجزرى في قوله: «وفر من لب الحروف المذلقة» وهي: «الفاء، الراء، الميم، النون، اللام، الباء» وقد سميت هذه

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٦ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة «ذلق»: ج ١ ص ٣٢٦ .

الأحرف بالأحرف المذلقة لأنها - كما يقول الخليل - تخرج من ذلق اللسان وهو طرفه مع طرف غار الفم^(١). وقال أستاذنا الدكتور هلال: المذلقة هي التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه، وهي ستة «مرينقل»^(٢)

والذي بدا لي أنها سميت بالحروف المذلقة لخفتها وسرعة النطق بها لخروج بعضها من ذلق اللسان وهي اللام والنون والراء وخروج الأخرى من الشفتين وهي: «الميم والباء والفاء» فهي أخف الحروف على اللسان.

أما الإصمات فهو ضد الإذلاق، وهو لغة مشتق من الصمت، صمت يصمت صمماً... لم ينطق، ويقال لغير الناطق: صامت، ولا يقال: ساكت^(٣).

وصفة الإصمات اصطلاحاً هي المنوعة من أن تنفرد بنفسها في كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها لصعوبتها على اللسان. وحروف الإصمات هي الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الذلاقة الستة.

والمصممة هي ما صمت عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلاقة^(٤)

وقد سميت بالحروف المصممة لثقلها حين النطق بها، فهي لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف، أعنى على أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، بمعنى أنها ثقيلة بخلاف المذلقة فهي

(١) الخليل بن أحمد، العين: ج ١ ص ٥٧.

(٢) عبرى اللغويين: ج ٢، ص ٥٨٣.

(٣) المعجم الوسيط، مادة «صمت»: ج ١ ص ٥٤٢.

(٤) عبرى اللغويين: ج ٢، ص ٥٨٣.

خفيفة فالشيء المصمت أثقل من الشيء الفارغ، وقد علل العلامة ابن جنى تسميتها مصمته بأنها: «صُمِتَ عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلاقة»^(١).

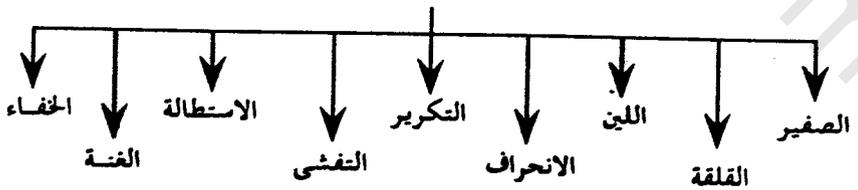
ومعنى هذا أن الكلمات الرباعية أو الخماسية لا تخلو من حروف الذلق، فلا بد فيها من حرف أو حرفين، نحو جعفر - مثلاً - تجد فيها الفاء والراء من حروف الذلق. وسلهب تجد فيها اللام والباء وهكذا.

والآن نذكر صفات الحروف التي لها ضد مجتمعة على نحو ما جاء في المقدمة الجزرية لابن الجزرى، يقول:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| منفتح مصمته والضحك | صفاتها جهر ورخو مستقل |
| شديدها لفظ أجد قط بكت | مهموسها فحشه شخص سكت |
| وسبع علو خص ضغط قط حصر | وبين رخو والشديد لن عمر |
| وقر من لب الحروف المذلفة | وصاد ضاد طاء ظاء مطبقة |

وكل حرف من الحروف لا بد أن يأخذ صفة واحدة من كل صفتين متضادتين فيكمل له خمس صفات ما عدا الألف فلا تجمع من الصفات إلا صفات الجهر والرخاوة.

ثانياً الصفات التي لا ضد لها



(١) سر صناعة الإعراب: ج ١ ص ٧٥.

وفيما يلي البيان والتفصيل :

١- صفة الصفير :

وهو صوت يخرج من بين الشفتين يصحب الصاد والزاي والسين عند خروجهن، قال ابن الجزرى: «صغيرها صاد وزاي سين».. وسبب حدوث الصفير انحصار الصوت فى مكان محكم عند خروج هذه الأحرف الثلاث بين طرف اللسان والثنايا العليا فيضيق منفذه فيصفر فى خروجه. فكلما زادت درجة انحصار الصوت كانت سرعة اندفاعه للخارج أكبر، وكان صوت صغيره أعلى.

٢- صفة القلقة :

وهى تحريك الحرف الشديد المجهور فور احتباسه باضطراب طرفى مخرجه، وحروف القلقة خمسة جمعها ابن الجزرى فى قوله: «قلقلة قطب جد» وهى: القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال».

وأقوى الحروف قلقله الطاء لاستعلائها وإطباقها، ثم القاف لاستعلائها وانفتاحها، ثم الجيم والدال والباء فى مستوى واحد. لاستفالهن وانفتاحهن. أما صفة الإذلاق التى فى الباء فصفة غير صوتية لا أثر لها فى النطق.

٣- صفة اللين :

وهى تعنى مرونة مخرج الواو والياء المحققين، وإمكانية تباعد طرفيه فيجرى صوتهما فى الجوف فى سهولة وبغير كلفة كجرىان حروف المد واللين الثلاثة نحو: «بَيْتَ - خَوْفَ» قال إمام العربية سيبويه: «ومنها (الليننة) وهى الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من

اتساع غيرهما كقولك: «واى» والواو. وإن شئت أجريت الصوت ومددت^(١)

ولعل السبب فى اقتصار ذكر الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما عند الكلام على صفة اللين هو كون إمكانية جريان الصوت وامتداده فى الجوف بسهولة وبدون كلفة لا يكون إلا فيهما دون باقى الحروف المحققة.

٤ - صفة الانحراف:

الصوت المنحرف هو الذى يحدد عن الموضع الذى احتبس فيه ليجرى فى موضع آخر، وهو - كما يقول إمام العربية سبويه - حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك^(٢).

ونفهم من هذا الكلام أن الحرف المنحرف هو اللام فقط، بيد أن الحروف المنحرفة حرفان هما اللام والراء، كما فى قول ابن الجزرى: «والانحراف صُححا فى اللام والراء... ومعنى صححا أى على القول الصحيح. ففى اللام: ينحرف الصوت ليحدد عن حافتى اللسان الأماميتين عقب احتباسه ليجرى فى الحافتين الخلفيتين.

وفى الراء: ينحرف الصوت ليحدد عن جانبي الطرف عقب احتباسه ليجرى فى وسطه.

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٥ .
(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

ونظراً لانتساع مخرج اللام عند مخرج الرء كان الانحراف في اللام كثيراً، وفي الرء قليلاً.

٥- صفة التكرير:

وهي صفة ذاتية خاصة بحرف الرء فقط، قال عنه سيبويه: «هو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الرء»^(١).

ومعنى هذا أنه لا بد من ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالرء أكثر من مرة، فتخرج رءات عديدة.

٦- صفة التفشى:

ونعنى به تدفق الهواء الكثير الحامل للصوت من بين وسط اللسان وغار الحنك، وانتشاره في الفم حتى يصل إلى مقدمته.

وللتفشى حرف واحد هو الشين، يتميز بالانتشار والانبثاق، حيث ينتشر هواؤه في الفم عند النطق به، قال ابن الجزرى: ... وللتفشى الشين... بيد أن بعض العلماء ألحقوا الفاء والضاد بالشين وجعلوا فيهما صفة التفشى وأضاف البعض الآخر حرفى الصاد والسين للتفشى لما فيهما من رخاوة وصفير.

لكن الجمهور يرى أن الشين تختص بالتفشى دون غيرها. نظراً لرخوتها وهمسها واتساع مخرجها وانفتاحها واستفالها.

٧- صفة الاستطالة:

وهي خاصة بصوت الضاد حيث يمتد الصوت معها من أول حافة

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٥.

اللسان إلى آخرها ليشمَل الحافتين الأماميتين، فيمتد صوتها من الحافتين الخلفيتين إلى الأماميتين حتى يصل بمخرج اللام.

وامتداد الصوت في الضاد ليس كما تداده في حروف المد الثلاثة (حروف الجوف) لاختلاف طبيعة المخرجين، فالضاد مخرجها محقق، وحروف الجوف مخرجها مقدر^(١) فامتداد الصوت في الضاد سببه استطالة مخرجها لبيان رخاوتها فيجري الصوت في مخرجها وينتهي بانتهاء المخرج، وزمنها مساوٍ لمخرجها مثلها مثل باقي الحروف الرخوة المحققة.

أما امتداد الصوت في حروف المد الثلاثة فسببه اتساع مخرجها وتباعد طرفيه ووجود ذات الحرف بامتداد الصوت فيه، فيجري الصوت في ذات الحرف، وزمنه يضبط بالحركات، وهو زمن قابل للزيادة حيث ينتهي صوت الحرف لانتهاء الهواء لا لانتهاء المخرج.

٨- صفة الغنة:

وهي صفة لازمة لحرفي النون والميم، حيث يحتبس الصوت في مخرجيهما، ثم يجري في الخيشوم.

٩- صفة الخفاء:

ويراد بها خفاء صوت الحرف عند النطق به، وحروفه أربعة يجمعها قولنا (هاوى) أى الهاء وحروف المد واللين الثلاثة «الألف، الواو، الياء». فالهاء لها صفة الخفاء لاجتماع صفات الضعف فيها، فهي «مهموسة، رخوة، مهتوتة» ويصعب مد صوتها، وذلك لشدة اتساع ما بين الوترين الصوتيين عند النطق بها، فيتدفق النفس عند إخراجها بحيث لا يستطيع الاستمرار

(١) انظر المخرج المحقق والمخرج المقدر: ص ٤٣ وما بعدها.

في صوتها، ووصف حرف الهاء بالخفاء يعنى إرادة بيان خفاء صوتها واستتاره عند النطق بها ساكنة فقط.

وأما خفاء حروف المد فمن أجله طال مدها إذا التقت بهمزة أو سكون، لسهولة حرف المد وصعوبة الهمزة أو الساكن بعده، ولأنه إذا وقع الأصعب بعد الأسهل يهتم الطبع بالأصعب فيذهل عن الأسهل فينعدم في اللفظ.

وعلى أية حال فإن حروف المد الثلاثة ليس لها مقطع عند إخراجها وإنما هي صوت ممتد جوفى تخرج من تجويف الجهاز الصوتي، من أجل ذلك يجب إظهارها قبل الهمزة بمدها خوفاً من سقوطها خلفائها وصعوبة نطق الهمزة بعدها، وإنما يجب أن يكون الهمز قبلها.

والآن نذكر الصفات التي لا ضد لها على نحو ما ورد في المقدمة الجزرية، يقول صاحبها :

صفيها صاد وزاى سين :: قلقلة قطب جد واللين
واو وياء سكتا وانفتحا :: قبلهما والانحراف صوحا
فى اللام والرأ وبتكرير جعل :: وللتفشى الشين ضادا استطل

لكن، كيف يمكننا استخراج صفة كل حرف؟

عندما نريد استخراج صفات كل حرف يجب اتباع ما يلى :

١ - نبدأ أولاً بالصفات التي لها ضد، فإذا أردت التعرف على صفات أى حرف من الحروف نظرت فى حروف الهمس المجموعة فى قولهم «مهموسها فحثة شخص سكت»، فإن وجدت الحرف المراد معرفة صفة فيها فهو مهموس، وأن لم توجد فهو مجهور.

- ٢ - نتقل إلى الصفة التالية وهي صفة الشدة المجموعة في قولهم : «شديدها لفظ أجد قط بكت» فإن وجدت صفته ضمن هذه الحروف كان شديداً، وإن لم توجد فهو متوسط مجموع في قولهم «وبين رخو والشديد لن عمر» فإن لم توجد فهو رخو .
- ٣ - نتقل إلى الحروف المستعلية المجموعة في قولهم «وسبع علو خص ضغط قط» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف مستعل، وإن لم توجد فهو حرف مستقل .
- ٤ - نتقل إلى الحروف المطبقة المجموعة في قولهم «وصاد ضاد طاء طاء مطبقة» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف مطبق، وإن لم توجد فهو حرف منفتح .
- ٥ - نتقل إلى الحروف المذلقة المجموعة في قولهم «فر من لب الحروف المذلقة» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف منذلق، وإن لم توجد فهو حرف مصمت .
- ٦ - ثم بعد ذلك نتقل إلى الصفات التي ليس لها ضد بدءاً من صفات الصفير المجموعة في قولهم «صفيها صاد زاي سين» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها كانت هذه الصفة هي السادسة للحرف .
- ٧ - نتقل إلى صفة القلقة المجموعة في قولهم «قطب جد» فإن وجدت هذه الصفة ضمنها كانت هي الصفة السابعة للحرف .
- ٨ - نتقل إلى صفة اللين المجموعة في قولهم «واو وياء سكتنا وانفتحا قبلها» فإن وجدت هذه الصفة ضمن هذه الحروف كانت هي الصفة الثامنة للحرف .

٩ - ننتقل إلى صفة الانحراف المجموعة في قولهم «والانحراف صُحْحًا في اللام والراء» فإن وجدت هذه الصفة كانت هي الصفة التاسعة للحرف .

١٠ - ننتقل إلى صفة التكرير وهي خاصة بحرف الراء فقط، ثم التفشى وهي خاصة بحرف الشين، ثم الاستطالة وهي خاصة بحرف الضاد .

ونود أن ننبه إلى ما يلي:

* كل حرف لا بد أن يأخذ صفة واحدة من كل صفتين متضادتين فيكمل له خمس صفات ما عدا الألف فلا تجمع من الصفات إلا صفات الجهر والرخاوة .

* الحرف الوحيد الذى له سبع صفات هو الراء، لأنه يحمل من الصفات المنفردة صفتين هما «التكرير والانحراف» .

* الحروف التى لها ست صفات هى التى ورد ذكرها فى الصفات التى لا ضد لها ما عدا الراء وهى : «الصاد والزاي والسين» الصفة السادسة لهم هى الصفير .

* القاف والطاء والباء والبدال والجيم الصفة السادسة لهم هى القلقلة .

* الياء والواو المحققتان الصفة السادسة لهم هى اللين .

* اللام الصفة السادسة له هى الانحراف .

* الشين الصفة السادسة له هى التفشى .

* الضاد الصفة السادسة له هى الاستطالة .

* الميم والنون الصفة السادسة لهما هى الغنة .